# الصراع النوميدي النوميدي وأثره في الحرب البونية الثانية (218ق.م- 202ق.م)

مفتاح محمد سعد البركي

كلية الآداب والعلوم- جامعة المرقب

**ملخص**

يُعَدُّ النصف الثاني من القرن الثالث ق.م، الزمن الذي اتفق عليه المؤرخون لنشأة الكيانات السياسية المحلية في منطقة المغرب القديم، والتي عُرفت بالممالك النوميدية ( مملكتي الماسيل أو نوميديا الشرقية ومملكة المازيسيل أو نوميديا الغربية)، بعد أن كانت قبائل متفرقة تعيش حياة التنقل وعدم الاستقرار.

استغلت تلك الكيانات الصراع الروماني القرطاجي الذي تزامن مع نشأتها وربما كان عاملاً مساعداً في ظهورها لمصالحها الخاصة، وحاولت الاستفادة منه في صراعها الداخلي فيما بينها لفرض سيطرتها المحلية، وبذلك عملت على تحسين علاقاتها مع كل من قرطاجة وروما وفق ما تمليه مصلحتها فتحالفت مع قرطاجة تارة، ومع روما تارة أخرى، فكان لها دور بارز في ذلك الصراع، خاصة في الحرب البونية الثانية، التي كان النصر فيها حليفاً لروما بمساعدة حليفها ماسنيسا أمير نوميديا الشرقية( الماسيل)، الذي كان يعود له الفضل فيه لانتصار الرومان في معركة زاما 203ق.م، والذي نتج عنه وضع أقدام الرومان لأول مرة في منطقة المغرب القديم، وتتويج ماسنيسا ملكاً على نوميديا الموحدة في ظل السيطرة الرومانية.

**مقدمة**

عصفت بمنطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط العديد من الصراعات العسكرية خلال النصف الثاني من الألف الأولى قبل الميلاد، من أهمها الصراع الروماني القرطاجي الذي عُرف بالحروب البونية بأدوارها الثلاث، والتي كان أعنفها ما عُرف بالحرب البونية الثاني 218 ق.م- 202ق.م تلك الحرب التي اُعتبرت بداية النهاية للإمبراطورية القرطاجية، ولعب فيها العنصر المحلي دوراً بارزاً في إدارة أحداثها.

تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على الدور الذي تلعبه الجغرافيا والعنصر المحلي في تحديد نتائج المعارك التي تدور على الأرض، وأن الهزائم في كثير من الأحيان تأتي من الداخل. ونحن هنا نحاول أن نسلط الضوء على الدور الذي لعبه النوميديون في أحداث الحرب البونية الثانية، وأثر ذلك على الصراع الروماني القرطاجي من خلال الصراع النوميدي النوميدي نفسه، فيا ترى ما هو الدور الذي لعبه النوميديون في ذلك الصراع؟ وما هي أسباب ذلك؟ وكيف تعاملت كل من قرطاجة وروما مع العنصر المحلي في إطار مصالحها؟ وما هي النتائج التي ترتبت على ذلك؟ وسيتبع الباحث المنهج التحليلي ما أمكن ذلك مع سرد المعلومات الضرورية كما وردت في مصادرها.

فمن خلال الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها، يمكن لنا أن نبين الدور الذي لعبه أصحاب الأرض في تحديد نتائج الصراع بين أكبر قوتين في المنطقة، والذي أدى إلى تدمير قرطاجة في نهاية الأمر و أسهم بشكل مباشر في السيطرة الرومانية على منطقة المغرب القديم استمرت لقرون طويلة.

سائلين من الله السداد والتوفيق

**الأصل والتسمية:**

-لم يكن النوميديون أو الجماعة البشرية التي أُطلق عليها اسم النوميد سوى فرع من القبائل اللوبية التي استوطنت جزءً من منطقة المغرب القديم، والتي نسميها اليوم بالشمال الأفريقي، شأنها شأن القبائل الأخرى التي ورد ذكرها في المصادر الكلاسيكية القديمة (**هيرودوت، 4،2002**)، ولا يتسع المجال لذكرها هنا.

-اختلف المؤرخون القدماء حول تسمية النوميد بهذا الاسم، غير أنه في ظل غياب المصادر المحلية التي تتناول هذه التسمية لم يبق أمامنا إلا اعتماد ما أورده الكُتّاب الإغريق والرومان حول هذا الموضوع، فقد أورد الكتاب الإغريق أن كلمة نوماد إنما تعني القبائل الرُّحَّل غير المستقرين في مراكز حضارية فمنهم المزارعون، ومنهم المتنقلون الذين يعيشون على الصيد والرعي، وبذلك وردت في تلك المصادر على أنها تعني البدو الرحل (**Pliny,V,1.22**)، لكنها لم تلبث أن تطورت وأصبحت ذات مفهوم عرقي ضمت أكبر تكتلين قبليين في المنطقة هم الماسيل والمازيسيل، ويقول سالوست : إن النوميد سلالة اندماج الفرس والجيتول الذين تحولوا إلى التنقل والترحال وفق أسطورة هرقل (**سالوست 1979 ، 18**)، ويحدد لنا كامبس موطن النوميديين بالمنطقة الواقعة بين الإقليم

القرطاجي في الشرق وبلاد المور في الغرب (**كامبس 2014، ه 129**)، حيث ظهرت الممالك النوميدية التي اشتهرت في التاريخ فيما بعد.

**ظهور الممالك المحلية:**

من المرجح أن الكيانات السياسية المحلية قد تطورت عن كيانات قبلية نالت قسطاً من الاستقرار والتحضر بعد مجيء الفينيقيين إلى منطقة المغرب القديم ، فترعرع بعضها في كنف قرطاجة ، وعرفت أساليب الحكم والإدارة (**عيساوي 2010 195**)بعد أن كان يغلب عليها الطابع القبلي، إذ كانت منطقة المغرب القديم تسكنها مجموعات قبلية تحكمها الروابط القبلية والعادات والتقاليد لا أكثر (**تويرت 2014 30**).

تعود الإشارات الأولى لهذه الكيانات إلى القرن الرابع قبل الميلاد، حيث بدأ الحديث عنها ككيانات سياسية خلال القرن الثالث ق.م، عندما عملت كل من قرطاجة وروما على كسب ود النوميديين كل إلى جانبه (**سي الهادي 2019 36**). و كانت تلك العشائر ترتكز على النظام القبلي ، وتخضع في نظامها القيادي والرئاسي إلى الزعامات القبلية (**كامبس 2009 196**)، على الرغم من وصف المصادر الكلاسيكية لزعماء تلك القبائل بالملوك مثل زعيم قبيلة الماكسيتاني التي أُسست قرطاجة على أراضيها على ما يبدو من خلال علاقات القرطاجيين بتلك القبيلة (**Justin,Xvii,6.33**) .

بدأت تلك الكيانات تبرز على الساحة السياسية في النصف الثاني من القرن الثالث ق.م تحت رعاية قرطاجة(**البركي 2019 343**)، فقد كان القرطاجيون لا يتدخلون في الشؤون السياسية والاجتماعية للشعوب التي يطئون أرضها، وتقتصر سيطرتهم على الجانب الاقتصادي، نشأت هذه الكيانات، وبدأ نظامها يتطور حتى أخذ الشكل السياسي الذي اصطبغ به فيما بعد، لكن دعامته الرئيسة ظلت تستند على الانتماء العرقي (القبلي)، فظهرت كتلتان رئيستان في المنطقة المحاذية لقرطاجة وهي قبائل الماسيل وقبائل المازيسيل.

- **الماسيل:**

تمثل قبائل الماسيل أهم المكونات الاجتماعية التي ظهرت في منطقة المغرب القديم، وهي جماعات بدوية كانت تسكن المنطقة المحيطة بنهر بجراداس ( مجردة) في غرب تونس وشرق الجزائر حالياً، (**حارش 2006 18**)، وقد كانت الأراضي التي تسيطر عليها تضيق في الشمال، بينما

نجدها تتسع في الجنوب حتى تصل إلى ما يُعرف بطرابلس الغرب الآن، وتشمل مدينة لبسيس( لبدة الحالية) (**كامبس 2014 138**) وربما هذا ما يؤكده لنا امتداد نفوذ المملكة الماسيلية إلى هذه المنطقة في عهد ماسينيسا، وتعتبر قبائل الماكسيتاني التي ذكرها المؤرخون القدماء هي إحدى القبائل الرئيسة في هذه المنطقة التي أُسست فيها مدينة قرطاجة، إذ تذكر تلك المصادر أن ملكاً ليبياً يُدعى(هيرباص ) قد طلب الزواج من الأميرة عليسة **Justin,XVII,6.1**) أميرة الفينيقيين في قرطاج، وفي حقيقة الأمر أن هذه الشخصية لا تعدو أن تكون شخصية زعيم لتلك القبيلة الواقعة في نطاقها المدينة الفينيقية الجديدة، ولا تنطبق عليها مقومات الدولة أو حتى الكيان السياسي بمفهومه المتعارف عليه.

يرى بعض الكُتّاب أن وجود الكيان الماسيلي يعود للقرن الرابع قبل الميلاد أو حتى قبل ذلك، ويستدلُّ أصحاب هذا الرأي على ذلك بالتحالف الذي حدث بين القائد القرطاجي أجاثوكليس وأحد الأمراء النوميد المدعو(يلماص) (**Diodorus,XX.17.1**.)، عندما غزا أجاثوكليس سواحل المغرب القديم حوالي 310ق.م، ويؤكدون أن ذلك الأمير هو أحد أجداد( ماسنيسا) الملك النوميدي المعروف (**فرحات 2007 46**) غير أن ذلك لا يُعد دليلاً على وجود مملكة نوميدية بالمفهوم المتعارف عليه، وأن ذلك الأمير لا يعدو أن يكون زعيماً لتكتل قبلي كبير في تلك المنطقة.

تُعَدُّ الحرب البونية الثانية هي الزمن المُعتمد لظهور الكيانات السياسية، رغم تأكيد البعض على قدم جذورها إلى فترات أقدم بكثير من عهد ماسنيسا، تمتد إلى أجيال (**كامبس 2009، 194**)، لكن المرجح أن الماسيل كانوا جزءً من الدولة القرطاجية خلال القرون الأولى من تأسيسها، إذ يؤكد صمت المصادر التاريخية عن تاريخ اللوبيين في الفترة الممتدة من حرب المرتزقة 237ق.م حتى الحرب البونية الثانية على عدم وجود كيان سياسي نوميدي له أثره في الأحداث (**اكصيل، 2007 225**) واستمر ذلك حتى القرن الثالث قبل الميلاد، إذ نجد أن جد مسنيسا المدعو زيلالسن كان يحمل لقب قاض، بينما حمل ولده جايا لقب ملك ، وذلك من خلال نقش دوقا الذي تمّ تكريسه للملك النوميدي مسنيسا (**تويرت 2014 38** ) وهذا يعني أنه يتبع سلطة أعلى هي من أسند لها هذه المهمة، ولن تكون هذه السلطة سوى قرطاجة.

ومن هنا يتضح أن الماسيل لم يكن لهم كيان مستقل قبل الحرب البونية الثانية أو قبل ذلك بقليل (**Pilington,2013,245-246**) فقد كانت سلطة زعماء القبائل البدوية هي

السائدة التي تطورت فيما بعد إلى سلطة قادة وملوك، فقد كان أسلاف ماسنيسا مجرد قضاة، ولا يتمتعون بصفة وحقوق الملك ( **فنطر 1970 35**) .

ظهرت الارهاصات الأولى للتاريخ السياسي لمملكة الماسيل ككيان مستقل حسب المصادر والشواهد التاريخية عقب نهاية الحرب البونية الأولى، وبالتحديد عقب ثورة المرتزقة، والتي عُرفت في الكتابات التاريخية بثورة الجند المأجور بين عامي 241- 237 ق.م، حيث ظهرت شخصية الأمير النوميدي( نارهفاس) على رأس قوة عسكرية من النوميد إلى جانب القائد القرطاجي هاميلكار برقة، وهو أخ الأمير جايا الذي أصبح ملكاً على قبائل الماسيل المجاورة للدولة القرطاجية (**Hoyos, 2007 257**)، ومن هنا برزت شخصية الملك (غايا) أب الملك النوميدي ماسنيسا المعروف، الذي كان على رأس القيادات المحلية الذين أعطتهم قرطاجة دوراً أكبر في قيادة مناطقها حتى أصبح لها كيانها المستقل، واصبحت علاقتها بتلك الكيانات أقرب إلى التبعية، أي أن قرطاجة كانت تمارس نوعاً من الحماية على المملكة الماسيلية (**كامبس 2014 134**) فكان الملك غايا زعيم الماسيل ملكاً لتلك القبائل المجاورة لقرطاجة من جهة الغرب.

**المازيسيل :**

تعد مملكة المازيسيل هي الأكثر غموضاً من حيث النشأة والتكوين، حيث لم نعثر على وثائق أو شواهد ربما تفيدنا في التسلسل السياسي والإداري الذي مرت به هذه المملكة، إذ لم تتحدث المصادر عن تاريخ نشأتها، و لا عن بدايات ظهور الأمراء المازيسيليين قبل ملكها سيفاكس الذي عاصر الحرب البونية الثانية (الشنيتي 2003 31) وكان له دور بارز في الأحداث التي وقعت في شمال أفريقيا، على الرغم من أن سيفاكس كان أول ملك محلي عرفه التاريخ في منطقة المغرب القديم(**فرحاتي 2007 115**) على عكس الدولة الماسيلية التي حاولت مصادرنا القديمة خلق سلسلة ملكية حاولت من خلالها إثبات قدم هذه المملكة، حتى إن البعض أرجعها إلى القرن التاسع قبل الميلاد زمن تأسيس قرطاجة من خلال الإشارة إلى الأمير اللوبي الذي طلب يد عليسة الفينيقية للزواج.(**JUSTIN,XVIII,61**).

تمتد الحدود الجغرافية لهذه المملكة من رأس التريتون شرقاً إلى وادية ملوشة غرباً، ومن البحر شمالاً حتى أراضي الجيتول جنوباً ، كما تحدثنا عنها المصادر الكلاسيكية ( **STRABON,XVII,3.9**.) غير أن هذه الحدود لا تعتبر دقيقة بالمعنى السياسي، بالنظر لطبيعة المملكة التي كانت ترتكز على النظام القبلي في نشأتها، ولا تحيط بها حدود طبيعية، وبخاصة من

الشرق، حيث تحدها قبائل الماسيل التي ظهرت هي الأخرى ككيان مستقل، فكانت الحدود الجغرافية بين مد وجزر، يحددها الصراع على النفوذ وفرض السيطرة وكذلك من الجنوب حيث قبائل الجيتول المتنقلة والتي لا يمثلها كيان سياسي يحدد معالمها (DecretF.,Fantar,MH,1981,82)

**-العلاقات القرطاجية النوميدية:**

لم تكن قرطاجة في يوم من الأيام تولي اهتماماً كبيراً بالتكتلات القبلية التي بدأت تتحول إلى تنظيمات سياسية نتيجة الاستقرار الذي بدأت تشهده تلك القبائل بفضل التحول في نمط الحياة الاقتصادية، إلا في إطار مصالحها التجارية ، لكن دخولها في صراعات عسكرية مع الإغريق أولاً ، ثم الرومان ثانياً أظهرت أهمية تلك التكتلات القبلية ، فقد كان السكان المحليون يمثلون العمق الاستراتيجي للدولة القرطاجية، حيث كانت قرطاجة تفرض سيطرتها الاقتصادية على كامل المنطقة الممتدة من مذبح الأخوين فيلاييني على خليج سرت الكبير حتى أعمدة هرقل(.Polybius,111,39.2)، وقد ظهر ذلك جلياً في حملة أجاثوكليس حاكم سيراكوزا في أواخر القرن الرابع ق.م، مروراً بحملة ريجولوس على أوتيكا 256ق.م، وما صاحب ذلك من انتفاضة لبعض السكان ضد الحكم القرطاجي (**أبورونيا 1999 201**) وتوّج مع نهاية الحرب البونية الأولى وفقدان قرطاجة لصقلية أمام الرومان، حيث بدأت تظهر أهمية تلك التكتلات القبلية التي سرعان ما أخذت تتحول إلى تنظيمات سياسية أشبه بالدول، ذات استقلال وسيادة، وبدأت تلعب دورها في الصراعات العسكرية بين روما وقرطاجة، سواء من حيث إمداد قرطاجة بالجنود أو من حيث الدعم اللوجستي الذي كانت قرطاجة تحتاجه خاصة في شبه جزيرة أيبيريا.

تأرجحت علاقة قرطاجة مع السكان المحليين بين مد وجز منذ القرن الخامس ق.م، فقد كان السلام يسود العلاقات القرطاجية مع السكان المحليين في بادئ الأمر ، وكانت علاقة المصالح المتبادلة هي السمة البارزة لتلك العلاقة نتيجة الثقة التامة التي ميزت علاقة التجار الفينيقيين الأوائل باللوبيين (**الناضوري 1981 222**) غير أن قرطاجة بدأت تفرض سيطرتها على مزيد من الأراضي خلال القرن الخامس ق.م، مما أوقعها في صدامات مباشرة مع بعض أمراء القبائل اللوبية التي رفضت الانصياع للسيطرة القرطاجية في أحيان كثيرة، فقد أشارت المراجع التاريخية إلى بعض الانتفاضات التي ظهرت بين الحين والآخر ضد القرطاجيين تعبيراً عن رفضهم لما تقوم به قرطاجة تجاههم، غير أن قرطاجة حاولت بطريقة أو بأخرى إخضاع تلك القبائل، تارة عن طريق القوة مثل ما حدث عقب فشل الحملة الرومانية، حيث أرسلت حملة تأديب ضد القبائل النوميدية عـ 247ق.م،

وفرضت عليهم غرامات حربية بلغت ألف تالنت فضة، وحوالي عشرين ألف رأس من البقر، وبذلك أجبرتهم على الانصياع لأوامرها (**أكصيل 2007 84**) ويذكر ديودور الصقلي أن اللوبيين استغلوا هزيمة قرطاجة أمام دينيسوس في صقلية، وقاموا بالثورة ضدها، حيث تجمع عدد لابأس به من الثوار وكونوا جيشاً كبيراً لحصار قرطاجة بلغ حوالي عشرين ألفاً بين أحرار وعبيد (**Diodours,XIV,77.3**) غير أن هذا الجيش هُزم على يد القرطاجيين نظرا لأنه يفتقر إلى التنظيم وحسن القيادة، كما أنه حدث تذمر واسع بين اللوبيين تعبيراً عن رفضهم الحكم القرطاجي عندما اجتاح الطاعون مدينة قرطاجة ع 379ق.م (**غاذ 2011 30**)، وتارة بالطرق السلمية بإخضاعهم لنفوذها الاقتصادي على الأقل من خلال استقطاب زعمائها بتقديم العون لهم، ومدهم بالمساعدة لفرض سيطرتهم على الأراضي المجاورة لهم، بل وجعلت منهم وكلاء لإدارة نشاطها الاقتصادي، غير أنه ومع بداية الحروب البونية، وظهور الكيانات السياسية المحلية، والتي أملتها الظروف، بدأت العلاقات القرطاجية النوميدية تتضح أكثر فأكثر من خلال تلك الكيانات، وفيما يلي سنلقي نظرة سريعة على تلك العلاقات بما يتماشى مع أهداف بحثنا هذا.

**علاقة قرطاجة بالماسيل:**

لم تظهر علاقة قرطاجة بالنوميد الشرقيين( الماسيل) ككيان مستقل، إلا عقب الحرب البونية الأولى، وبالتحديد عقب ما يُعرف بحرب المرتزقة أو ثورة الجند المأجور كما يفضّل بعضهم تسميتها، فقد كان النوميد الشرقيون يقعون تحت النفوذ الاقتصادي والإداري وحتى السياسي لقرطاجة، نظراً لمجاورتهم لمدينة قرطاجة أو لوقوعها ضمن أراضيهم بمعنى أصح، وبذلك فإن علاقة الدولة القرطاجية بالأمراء الماسيل كانت قديمة تعود إلى بدايات الوجود القرطاجي، على الرغم من أن بعض المصادر التاريخية تعزو التحالف القرطاجي الماسيلي إلى انحياز سيفاكس ملك ( المازيسيل) إلى الرومان أثناء الحرب البونية الثانية(**Livius, XXIV.49**)، غير أن ذلك ربما يصدق على علاقتهم بهم ككيان مستقل، أو كدولة نوميدية تقف كندٍ لقرطاجة أو على الأقل كحليف لها، وليس كعلاقة اجتماعية اقتصادية.

تميزت علاقة قرطاجة بالنوميد الشرقيين( الماسيل) عن علاقتها بغيرهم من اللوبيين، فقد كانت علاقة وطيدة على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي؛ فقد نشأ بعض من أمرائهم في كنف الأرستقراطية القرطاجية، إذ كانوا يرسلون أبناءهم لتنشئتهم وتعليمهم وتدريبهم على القيادة وحتى على حمل السلاح، وتهييئتهم لتولي شؤون قبائلهم، فعلى سبيل المثال نجد أن الملك (غايا) قد

أرسل ابنه (مسنيسا) الشهير ليتربى في أحضان قرطاجة وينهل من ثقافتها، ويتعلم فنون الحرب والقتال(**سقوار 2018 517**)، وربما يعزى تأخر ظهور الكيان الماسيلي لقربه من قرطاجة ووقوعه تحت سيطرتها المباشرة، على الرغم من استفادة قادتهم المباشرة منها، وتشبعهم بمظاهر الحضارة القرطاجية حتى وُصف ملكهم مسنيسا بالبوني فكراً وسلوكاً، وأن الدماء القرطاجية تجري في عروقه، كما تجري الدماء الأفريقية في عروق حنبعل، وهو لا يختلف عن القرطاجيين في شيء (**كامبس 2014 190**).

أسهم الصراع الروماني في تغيير سياسة قرطاجة تجاه السكان المحليين؛ فحاولت التقرب منهم أكثر فأكثر، ومنحتهم المزايا إلى حد الاعتراف بهم كممالك مستقلة، ومنحتهم مزيداً من الأراضي التي كانت خاضعة لسيطرتها المباشرة ، فأصبح الماسيل يمثلون دولة مستقلة لها كيانها الخاص الذي أهّلها لأن تعقد التحالفات مع قرطاجة وتدعمها بمزيد من الجنود لمحاربة الرومان في إسبانيا(**علي أحمد 2010 35**) حيث هدفت قرطاجة من وراء ذلك للبحث عن حليف قوي يسندها في مواجهة الرومان، ويكوّن عمقاً استراتيجياً محلياً لها، ولو أدى ذلك إلى بعض التنازلات، ربما دفعها أحياناً إلى تقديرات خاطئة، كان لها نتائجها السلبية عليها فيما بعد.

تعتبر وفاة الملك الماسيلي غايا ع 206ق.م نقطة فاصلة ومحورية في علاقة قرطاجة بالدولة الماسيلية، حيث تولى من بعده العرش أخوه أوزاليس الحكم وفق التقاليد النوميدية، غير أن هذا الأخير لم يستمر طويلاً في الحكم نظراً لكبر سنه، فتولى من بعده الحكم ابنه كابوسا (**فرحات 2007 64**) غير أن هذا الأمر خلق واقعاً جديداً، إذ تمرّد عليه أحد أفراد العائلة المالكة من فرع آخر على ما يبدو يدعى (مازيتول)، واستطاع هزيمة الملك وقتله، غير أن الغريب في الأمر أنه لم يتولَّ الحكم واكتفى بأن يكون وصيا على العرش الذي أسنده إلى ابن القتيل(لاكومازيس)، وهذا ما يوحي بأنه كان من فرع آخر فربما خشى من رفض النوميديين له لمخالفته عادات تولي العرش السائدة لديهم (**فرحات 2007 64**) ولا ضير في ذلك فما دام وصياً فإن أمور الحكم الفعلية بين يديه، كل ذلك وماسنيسا لا يزال في شبه الجزيرة الأيبيرية يقاتل في صفوف الدولة القرطاجية على رأس كوكبة من الفرسان النوميد.

أثارت هذه الخطوات حنق القائد ماسنيسا ضد كل من حاول إقصاءه عن حقه في العرش، وعلى رأسهم قرطاجة التي كانت تبحث عن الحليف الأقوى في مواجهة الزحف الروماني، وحيث إن قواتها كانت قاب قوسين أو أدنى من الرحيل من أسبانيا، وأصبحت هزيمتها هناك شبه مؤكدة، فلم

تعد تهتم بالقوات النوميدية التي كانت تساندها هناك، والتي كان على رأسها ماسنيسا، وتمسكت بالواقع الجديد؛ فوضعت يدها في يد لا كومازيس، وبخاصة أنها استطاعت أن تنهي الخلافات بينه وبين الخصم التقليدي الملك سيفاكس، ساعية إلى خلق جبهة نوميدية موحدة تكون لها عمقاً استراتيجياً في مواجهة الزحف الروماني خاصة بعد فشل مؤتمر سينا 206ق.م (**أكصيل 2007، 169**) الذي حاول فيه الملك سيفاكس التوفيق بين قرطاجة والرومان وإنهاء الحرب، ولم تكن تعلم أنها فتحت جبهة قوية عليها، ومنحت روما حليفاً قوياً وموطئ قدم لها في عقر دارها.

لم تحاول قرطاجة إصلاح ما فسد مع ماسنيسا، ويبدو أنها عولت على الحليف الجديد من الماسيل، وأصبحت علاقتها من سيئ إلى أسوأ مع ماسنيسا، وهذا ما ظهر جلياً أثناء بدايات عودة ماسنيسا إلى أرض الوطن ومحاولته إنهاء الخلافات مع أبناء عمومته في الدولة الماسيلية؛ فتحولت تلك العلاقة من علاقة ود وتحالف، إلى علاقة عداء مرير، كان له الأثر الأكبر في القضاء على الدولة القرطاجية وسقوطها نهائياً عا 146ق.م على يد الرومان من خلال عداء ماسنيسا لها.

**علاقة قرطاجة بالمازيسيل:**

خضعت العلاقات القرطاجية النوميدية للعديد من التأثيرات على مصالحها المباشرة، فنجدها على سبيل المثال تصانع النوميد الشرقيين (الماسيل)أحيانا لسيطرتهم على عديد المواقع الاستراتيجية المحيطة بها ، وأحيانا أخرى تبحث عن علاقات حسنة مع النوميد الغربيين (المازيسيل) لما يمثله هؤلاء من أهمية استراتيجية لسيطرتهم على بعض الموانئ والمواقع المهمة على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط.

فقد كان للصراع القرطاجي الروماني أثره المباشر على نوع وطبيعة العلاقات القرطاجية النوميدية، وبخاصة النوميد الغربيين( المازيسيل)، إذ كان من نتائج الحرب البونية الأولى خروج قرطاجة من صقلية وسردينيا، وبالتالي حرمانها من السيطرة التجارية على الحوض الغربي للبحر المتوسط، فأصبح كل تركيزها ينصب على شبه الجزيرة الأيبيرية التي كانت الممول الرئيس لنشاطها التجاري، وحيث إن مملكة المازيسيل كانت تسيطر على الطريق الرابط بين قرطاجة وأيبيريا فقد أصبح لزاماً عليها أن تعيد النظر في علاقتها مع جيرانها الغربيين (**الشنيتي 2003، 32**)، حيث كانت مملكة المازيسيل تسيطر على العديد من المراكز التجارية التي تقع ضمن نفوذ قرطاجة، غير أن العامل الأهم هو سيطرتهم على الطريق الواصل بين قرطاجة الوطن، ومناطق نفوذها في شبه الجزيرة الأيبيرية ( تويرت 2014 42)، حيث يدور الصراع بينها وبين روما، وما

لذلك من أثر على وضع قرطاجة العسكري، فقد كان ذلك الطريق يمثل الشريان الحيوي لقرطاجة في الوصول إلى مصدر ثروتها وجيشها في الغرب، فضلاً عن سيطرة المازيسيل على الكثير من الموانئ التجارية إلى الغرب من قرطاجة، يضاف إلى ذلك خصوبة أراضيها الزراعية التي تحدث عنها استرابون بقوله:" البعض منهم أي المازيسيليون يقطنون أراضيَ تُغل مرتين في العام، في الصيف وفي الربيع... ولا يبذرون في الربيع، حيث كانوا يكتفون بكشط الأرض بمكنشة من الغصن الشائك والحبوب التي تقع على الأرض خلال الحصاد تكفي لإعطاء محصول كافٍ في الصيف ( **سترابون، 2003 17.3**) كما أن أبناء المازيسيل كانوا يشكلون جزءً لا يُستهان به من الجيوش القرطاجية التي كانت تحارب الرومان في أسبانيا (**Polybius,III,33.15**.) إذ وصفته بعض المصادر بأنه كان صديقا لحنبعل عند نشوب الحرب البونية الثانية؛ وبذلك قدّم له الدعم القوي في حربه ضد الرومان (**Polybe,XVI.3.6**).

لم تستمر علاقة الود طويلاً بين قرطاجة وملك المازيسيل سيفاكس، إذ سرعان ما نشب خلاف بينهما لم تُعرف أسبابه على وجه الدقة، فهناك من يرى أن سبب الصراع جاء نتيجة محاولة سيفاكس السيطرة على بعض الأراضي الماسيلية الخاضعة للنفوذ القرطاجي (**PolybeXXIV,48.49**) بينما يرى آخرون أن الخلاف نشب نتيجة مطالبة سيفاكس قرطاجة بالتخلي عن بعض الموانئ والثغور الواقعة ضمن حدود ممتلكاته، ولكن المرجح أن الملك سيفاكس قد استغل الظروف التي كانت تمر بها قرطاجة، فحاول أن يكسب المزيد من الأراضي على حساب النوميد الشرقيين، وبخاصة أنه كان حليفاً لقرطاجة، ولديه فِرَقٌ عسكرية ضمن قواتها التي تحارب الرومان في إسبانيا، فأراد أن يوسع سيطرته؛ مما أوقعه في صراع مباشر مع الماسيل حلفاء قرطاجة الطبيعيين إن لم يكونوا ضمن رعاياها من الناحية الفعلية، وحيث إن قرطاجة كانت تخشى تزايد نفوذ الملك سيفاكس في المنطقة مما يهدد مصالحها وتجارتها في المستقبل، في الأراضي اللوبية بعد أن حُرمت منها في صقلية وسردينيا لمصلحة الرومان، فقد ساندت (غايا) ملك الماسيلي في حربه ضد سيفاكس ع 213ق.م، تلك الحرب التي قادها ماسنيسا ابن الملك غايا، ونتج عنها هزيمة سيفاكس، ومن ثم تحوله نحو الرومان.

وأياً كانت الأسباب، فقد وقع الصراع بين القرطاجيين والملك سيفاكس؛ الأمر الذي جعل قرطاجة تغري خصمه غايا بمهاجمته وهزيمته؛ ما دفعه إلى التوجه إلى الرومان الذين سارعوا باحتضانه، وإرسال مدربين عسكريين له؛ لتحديث جيشه، ومقارعة قرطاجة، بل ووعدوه بالتحالف

معه إذا ما استمر في مضايقة قرطاجة، وأنه سيفرض التزاماً على مجلس الشيوخ الروماني بمكافأته، ورد الجميل له في الوقت المناسب (Livius,XXIV.48) وبذلك أحست قرطاجة بأن الملك المازيسلي يشكل خطراً عليها، ومن هنا بدأت تحول أنظارها نحوه، إذ رأت أنه ربما يكون الأكثر فائدة لها في صراعها مع الرومان، وتراجعت عن دعم الماسيل ضده ( غانم 1998 59).

كل هذه المعطيات جعلت قرطاجة تغيّر من سياستها تجاه المازيسيل وقائدهم سيفاكس، بعد أن كانت تناصر جيرانها الماسيل في صراعهم مع المازيسيل، فأخذت تتقرب من سيفاكس بعد أن شعرت بتقاربه مع الرومان؛ فلجأت إلى التفاوض معه، وعقد مصالحة معه تطورت إلى تحالف فيما بعد ( سقوان 2018 518) ربما نجم عنه المصاهرة الشهيرة بزواجه من الأميرة القرطاجية صفونزيب، التي تحدثت عنها المصادر الكلاسيكية كثيراً ، وأسهبت في ذلك حتى اعتبرها بعض الكُتّاب أنها كانت صفقة في ذلك التحالف، وبخاصة أن قرطاجة لم تكن في وضع يسمح لها بمعاداة الملك المازيسيلي الذي أصبح يشكل خطراً عليها، وربما يصبح موطئ قدم لأعدائهم الرومان على الشواطئ الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، إذا ما استغل الرومان هذه الأوضاع، وهذا ما تمّ بالفعل كما سنرى لاحقاً.

كان لوقوف قرطاجة إلى جانب الماسيل الشرقيين جيرانها المباشرين ودعمهم في صراعهم ضد جيرانهم الغربيين، أثر بالغ في تدهور العلاقة مع سيفاكس زعيم نوميديا الغربية، الذي اتسمت علاقاته بالعدائية تجاه قرطاجة خلال عام 213ق.م(livius,XXIV.48) مما أدى إلى سحب العديد من قواته التي كانت تقاتل الرومان إلى جانب قرطاجة في إسبانيا، عندما اجتاح مسنيسا ممتلكاته حتى وصل إلى مضيق أعمدة هرقل، دفعه إلى تغيير وجهته نحو روما كوسيلة من وسائل الضغط على قرطاجة.

على الرغم من تحول سيفاكس نحو الرومان والاستنجاد بهم للضغط على قرطاجة، إلا أنه كان يدرك حجم المخاطر التي ستنجم عن الصراع بين القوتين، وكان يدرك أن وجود الرومان بالبلاد اللوبية سيكون له خطر وعواقب وخيمة على السكان المحليين، وبخاصة إذا ما خسرت قرطاجة الحرب، وأصبحت روما القوة الوحيدة في المنطقة، لذلك سرعان ما عاد لحضن قرطاجة عندما عملت على التقارب معه، مع احتفاظه بعلاقات حسنة مع الرومان، وحاول أن يعمل على التوفيق بين الطرفين، وإيقاف الحرب في مؤتمر عُرف بمؤتمر سيقا- عاصمة مملكة نوميديا الغربية- عام 206ق.م، جمع فيه بين القائدين القرطاجي عزر بعل والروماني سكيبيو، غير أن ذلك المؤتمر

فشل نتيجة تعنت القائد الروماني الذي كان يدرك أن الكفة في صالح روما وتحججه بحجج واهية كعدم الاختصاص في اتخاذ القرار ( **غانه 1998 62- 63**).

**العلاقات النوميدية الرومانية:**

فرضت الحروب المستمرة بين روما وقرطاجة على الرومان البحث عن حلفاء لهم في عقر دار قرطاجة، إذ حاولت نقل الحرب إلى بلاد اللوبيين، ربما مستفيدة من استراتيجية حنبعل عندما نقل الحرب إلى بلاد الرومان أنفسهم عـ 218ق.م، فيما عُرف بالحرب البونية الثانية، فوجدت روما خير وسيلة للدفاع هو الهجوم، وبخاصة أنها حاولت فعل ذلك أثناء الحرب البونية الأولى، فيما عُرفت بحملة ريجولوس والتي فشلت فشلاً ذريعاً، وتمّ اسر قائدها ( **اليوبي 1990 185**) فعزاها الكثير إلى عدم وجود أنصار لها على الأرض من أهالي البلاد الأصليين. هذا الأمر دفع الرومان للبحث عن هذا العنصر الفعال مستغلين نشوب الصراع بين النوميديين أنفسهم والتخبط القرطاجي في محاولة التوفيق في ردم هذه الهوة التي لعبت دوراً رئيساً في نتائج الصراع القرطاجي الروماني.

بدأت روما تغيّر من سياستها في إدارة الحرب مع قرطاجة، وتنتهج نهجاً جديداً في إدارة ذلك الصراع، فأصبحت استراتيجيتها تعتمد على استمالة الشعوب التي كانت خاضعة للنفوذ القرطاجي، مستفيدة من نجاحها في إسبانيا؛ حيث استطاعت استمالة العديد من القبائل المحلية إلى جانبها، والتي أصبحت سنداً قوياً لها ضد أعدائها (**Livius,XXIV.48**) مما وفّر لها الكثير من الدعم المحلي، وخلق بيئة معادية للقرطاجيين، حاولت أن تنهج هذا النهج في أفريقيا، فوجهت أنظارها نحو معقل القرطاجيين، فعملت على كسب أنصار لها في تلك البلاد (**سي الهادي 2019، 36**)، فقد كانت الفرصة متاحة نتيجة الصراع الدائر بين أبناء البلاد الأصليين من النوميد، وكانت قرطاجة منغمسة في ذلك الصراع من خلال دعمها لأحد الأطراف، هذا الأمر أتاح الفرصة لروما لتحقيق أهدافها، فأخذت تتحين الفرص للتقرب من الزعماء النوميديين في منطقة المغرب القديم.

**مع المازيسيل:**

كانت سياسة القائد الروماني سكيبيو الذي أُسْنِدَتْ له مهمة إدارة الصراع مع قرطاجة في أسبانيا ترتكز على عزل قرطاجة عن حلفائها النوميديين مستغلاً الصراع والخلافات الدائرة بين النوميديين أنفسهم (**Zimmermann2011,294** ) وكان لها ما أرادت عندما ساءت علاقات قرطاجة مع نوميديا الغربية؛ إذ ناصرت قرطاجة جيرانه الماسيل بقيادة(غايا) ضد قبائل المازيسيل

بقيادة سيفاكس، الذي لم يتردد في اللجوء إلى الرومان لطلب المساعدة أو على الأقل لإظهار رغبته في التعاون معهم، فأرسل القادة الرومان في إسبانيا( الأخوين سكيبيو) ثلاثة من قوادهم مبعوثين لها للتفاوض مع سيفاكس ومحاولة كسب وده ( .Liviuso,.XXIV,48) وربط جسور التواصل معه لاستخدامه في الضغط على قرطاجة، وجعله شوكة في خاصرتها، فضلاً عن إضعاف جيشها في إسبانيا من خلال سحب النوميد التابعين له في صفوف القوات القرطاجية.

اتصل سيفاكس بالرومان لأول مرة عاء 213ق.م (Warmington,1960,240) ثم عمل على تطوير تلك العلاقة فيما بعد، حيث طلب منهم إبقاء أحد المبعوثين- والذي كان على ما يبدو خبيراً عسكرياً- لتدريب جيوش سيفاكس على فنون القتال النظامية والتي لم تكن معروفة لدى النوميديين، كما تدعي تلك المصادر (Livius.XXIV,48) غير أنه ربما بقى إلى جانب الملك النوميدي لمراقبته وجمع المعلومات عنه وعن علاقته بالقرطاجيين، إذ كان الرومان لا يثقون بالنوميد، فقد ورد في إحدى خطابات القائد الروماني (سكيبيو) إلى مجلس الشيوخ (الأميران سيفاكس وماسنيسا اللذان لا أثق بإخلاصهما حتى الآن لحماية نفسي من أي غدر قد يحاولانه(Livius,XXVIII,35)، وهذا يعني أن الرومان كانوا لا يثقون بحلفائهم الجدد حتى بعد فترة من العلاقات، فما بالك ببداياتها.

أرسل سيفاكس وفداً لمجلس الشيوخ الروماني في خطوة لافتة لتطوير علاقات التعاون مع الرومان يطلب صداقة الشعب الروماني، مستعرضاً بعض المعارك التي خاضها الملك النوميدي ضد قرطاجة، ولم يتوانَ الرومان بدورهم عن الترحيب بذلك الوفد شاكرين نشاط الملك النوميدي ومساعدته الرومان والتي ستكون لها مكافأته المستقبلية، وأرسلوا الهدايا للملك النوميدي، ولبعض زعماء العشائر النوميدية لكسب ولائهم LiviusXXVII,4).

على الرغم من التواصل الروماني مع الملك النوميدي سيفاكس ومحاولة الأخير استغلال الوضع في الضغط على قرطاجة لكسب مزايا سياسية لمصلحة نوميديا الغربية، إلا أنه كان يدرك الخطر الذي يمثله دخول الرومان لمنطقة المغرب وما ينتج عن ذلك (سي الهاد 2019 39) لذلك سعى إلى اتباع سياسة متوازنة مع الطرفين، فحسّن علاقته بقرطاجة ، فحاول أن يلعب دور الوسيط في إنهاء هذه الحرب، حيث جمع بين الطرفين في مؤتمر سيقا عـ 206ق.م، وعندما فشل في ذلك أعلن انضمامه العلني للدولة القرطاجية، وإعلان الحرب على الرومان، لإدراكه بأن الرومان لن

يحصل منهم على ما كان قد حصل عليه مع قرطاجة، وبخاصة في ظل تحالفهم مع غريمه ماسنيسا.

**مع الماسيل:**

لم يكتف الرومان بمد جسور التواصل مع الملك المازيسيلي فقط، بل عملوا في نفس الوقت على مد جسور التواصل مع ماسنيسا زعيم النوميد الشرقيين ووريث عرش غايا، فقد كان للدور الذي لعبه القائد الماسيلي ماسنيسا في الحرب ضد الرومان في إسبانيا، أثره البالغ في لفت انتباه القائد الروماني (سكيبيو)، الذي سعى بكل ما لديه من خبرة وحنكة سياسية لكسب ود هذا القائد إلى صَفّه، فقد أدخل الرعب في قلوب الجنود الرومان، بفضل تحركاته وهجماته المفاجئة على معسكراتهم ليلاً ونهاراً، مما جعلهم يحسبون له ألف حساب، ويتحينون الفرص للنيل منه أو لتحييده على الأقل، وقد سنحت الفرصة للقائد الروماني، عندما وقع أحد أقرباء ماسنيسا في الأسر في إحدى المعارك ويدعى (مسيفا) ( **تووير 2014 56**) فاستغل الأمر أفضل استغلال إذ بادر بإطلاق سراحه، وأرسل معه هدايا قيمة لماسنيسا تمثلت في خاتم ذهبي وسترة أرجوانية وحصان ( **Livius,XXVII.19**.) ربما هدف منها أن تكون عربون صداقة مع القائد النوميدي، ومد يد للتحالف معه، ولا يُعرف على وجه التحديد إن كان قد أرسل معه رسائل مباشرة يعرض فيها على القائد النوميدي الانضمام للرومان في ضوء تراجع علاقات التحالف الروماني مع سيفاكس، بعد أن شعرت قرطاجة بخطورة ذلك التقارب، وعملت على القضاء عليه من خلال مد جسور التواصل مع الملك المازيسيلي، ولا يُستبعد أن يكون هذا الأمر قد لاقى استحساناً لدى ماسنيسا، وبخاصة بعد وفاة أبيه(غايا) وتولي أحد أقربائه العرش، فمن المرجح أن تلك الخطوات التي اتخذها القائد الروماني قد آتت ثمارها فيما بعد، وربما تلك كانت أول إشارة من قبل القائد الروماني للتواصل مع ماسنيسا(**Zimmermann2011,293** ) حيث نجد أن القائد النوميدي قد شكر سكيبيو على إطلاق سراح ابن اخته، وعبّر له عن إعجابه به شخصياً، وأنه كان ينتظر الفرصة المناسبة لرد الجميل للرومان، وأنه سيكون سعيداً أكثر بمساندتهم في غزو قرطاجة في عقر دارها، فهو يكون هناك أكثر نفعاً لهم وفائدة من بلاد الإسبان، وبخاصة أنه يسعى لاسترداد ممتلكات والده وأجداده التي تمّ اغتصابها بمساعدة قرطاجة ( **Livius,.XXVIII,35**). ومن هنا بدأت سياسة ماسنيسا في التحول نحو الرومان بعد الأحداث التي جرت في الوطن، فحاول التواصل مع بعض القادة الرومان في اسبانيا مستغلا انشغال قرطاجة وتخبطها نتيجة الانتصارات التي حققها القائد الروماني سكيبيو

عليها في اسبانيا، فاتصل بالقائد الروماني (سيلانوس) وتوصل معه إلى اتفاق تعاون على ما يبدو، حيث أرسل ماسنيسا بعضاً من خاصته إلى الوطن الأم لكسب مزيدٍ من الأنصار وإقناعهم بالتخلي عن قرطاجة ومساعدة الرومان LiviosXXVIII,16 ) بعد تحالفها مع غريمهم سيفاكس.

لعب الصراع بين أبناء البيت المالك في مملكة نوميديا الشرقية على تولي العرش دوره في تحول ماسنيسا نحو الرومان، إذ كان من المفترض أن يتولى العرش بعد موت ابن عمه كابوسا وفق التقاليد النوميدية، غير أن العرش قد آل إلى أبن كابوسا المدعو(لاكومازيس) وكان طفلا ( سي الهاد 2013 25) مما نتج عنه حرمان ماسنيسا من حقه في الملك، وبخاصة أن الوريث الطفل قد حصل على الدعم من قرطاجة وسيفاكس على حدٍ سواء، الأمر الذي منح الفرصة للرومان للتواصل مع ماسنيسا، حيث وعدوه بإعادة عرش والده إليه، بل وتسليم بلاد المغرب كاملة له في حالة وقوفه إلى جانبهم، وكسب الحرب ضد قرطاجة ( سرحا 2013 109) ومن المرجح أن هذا الاتفاق قد تمّ عندما قابله سكيبيو في إسبانيا، حيث بدأت القوة القرطاجية تنهار هناك، وأصبح خروجها محتماً من هناك، مما شجع القائد النوميدي إلى التعلق بالرومان ربما أنه لاحظ أن كفة الحرب بدأت تميل إلى مصلحتهم، ومنذ ذلك الوقت بدأ ماسنيسا يعمل بكل جهده لمناصرة الرومان ضد قرطاجة وضد غريمه سيفاكس، حيث ترك الجبهة في إسبانيا وعاد مسرعاً إلى بلاده وأخذ يجمع الأنصار ويوحد الصفوف لمناصرة الرومان آملاً في تكوين مملكة محلية قوية بمساعدة الرومان على أنقاض الدولة القرطاجية.

**الصراع النوميدي النوميدي:**

احتوت المنطقة الممتدة من قرطاجة شرقاً حتى وادي ملوشة غرباً على أكبر تكتلين قبليين حسب ما تذكره المصادر التاريخية، هذان التكتلان ينتميان إلى أرومة واحدة، أو إلى أصل واحد عرفته المصادر التاريخية بالأصل النوميدي، وبالنظر للطبيعة البدوية التي تميز بها اللوبيون القدماء فقد عاشت تلك القبائل في تنقل مستمر مما أوقعها في صدام مباشر مع بعضها البعض للسيطرة على مواقع الكلاء والماء، ومن هنا لا يمكن لنا أن نتبين حداً فاصلاً ثابتاً بين تلك القبائل (كامبس 2014 140) هذا الأمر حدا بها إلى الانضواء تحت قيادتين عُرفتا في التاريخ بالنوميد الغربيين( المازيسيل) والنوميد الشرقيين(الماسيل).

ليس من السهل علينا وضع خارطة واضحة المعالم للحدود الجغرافية التي تفصل بين مملكتي النوميد( الماسيل والمازيسيل)، والتي تعتبر السبب الرئيس في الصراع الذي نشب بين

التكتلين، وذلك لتداخل مناطق نفوذ كل منهما، وذلك بالنظر لطبيعة تلك الممالك التي ترتكز على النظام القبلي والعشائري الذي يميزه التنقل المستمر، وعدم الاستقرار، وبذلك كانت تلك الحدود في تغير مستمر، على الرغم من أن بعض المصادر التاريخية قد أشارت إلى موطن كل منهما، حيث حددت مواقع قبائل الماسيل في المنطقة الواقعة في غرب تونس وشرق الجزائر الآن أي في المنطقة الممتدة من رأس التريتون غربا إلى منطقة خليج السرت الكبير شرقا يقع بعضها تحت السيطرة القرطاجية وإلى أراضي الجيتول جنوبا (**تويير 2014 39**).

كان للصراع القرطاجي الروماني أثره القوي والمباشر في إذكاء الصراع بين مملكتي النوميد في المنطقة، فقد وجد كل منهما سنداً له يدعمه ضد خصمه، وقد تجلى ذلك في التحالفات التي عقدها زعماء تلك الممالك مع طرفي الصراع الرئيسيين، حيث استغل كل منهما هذا الصراع لتحقيق أغراضه الشخصية، سواء من حيث توطيد أركان حكمه أو لكسب مزيد من الأراضي وأحياناً لمواجهة خصومه من أبناء عمومته.

لم تحدثنا المصادر التاريخية عن مواجهات مباشرة بين النوميديتين الشرقية والغربية قبل الحرب البونية الثانية، وربما ذلك عائد لعدم ظهور هذه الكيانات بشكل واضح وصريح، أو لهيمنة قرطاجة على المنطقة بشكل عام، ولكن ومع بدايات الحرب البونية الثانية بدأت هذه الكيانات تظهر وبدأ الصراع فيما بينها يحتل مكانه على الساحة السياسية ويؤثر فيها، وإن كان استمراراً لصراعات قديمة ربما جذورها قبلية، ففي عا 213ق.م اغتنم غايا زعيم الماسيل فرصة حاجة قرطاجة إليه في حربها ضد الرومان وعقد معها حلفاً استغله في مواجهة غريمه سيفاكس زعيم المازيسيل، ومستفيدا من فتور العلاقات القرطاجية مع مملكة نوميديا الغربية نتيجة مطالبة الملك سيفاكس ببعض الامتيازات في السيطرة على بعض الموانئ، وضم بعض الأراضي الماسيلية لمملكته، كمكافأة له على وقوفه إلى جانب قرطاجة في حربها ضد الرومان، فأقحمها في تدخل مباشر ضد أعداءه، وهي أول حرب مباشرة تحدثت عنها المصادر التاريخية (**علي أحمه 2010 35**) مما دفع الملك سيفاكس للبحث عن حليف له لمواجهة هذا الخطر، ووجد ضالته في الرومان، في حين تحالف غايا زعيم مملكة الماسيل مع قرطاجة معتقداً أن مصلحته في هذا التحالف، حيث استطاع السيطرة على الكثير من الأراضي المتنازع عليها مع جيرانه الغربيين مستفيداً من الدعم القرطاجي له، والتي رأت فيه عمقاً استراتيجياً لها يمكن أن تستفيد من أبناء قبيلته في مجهودها الحربي، وما تغلّه الأراضي النوميدية من حبوب ومواد غذائية.

فاستغل "غايا " الظرف وشن حرباً على غريمه المازيسيلي، وأرسل جيشاً قوياً بقيادة ابنه ماسنيسا الذي كان عمره لا يتجاوز السابعة عشر من عمره، واستطاع بالفعل هزيمة سيفاكس بدعم مباشر من القرطاجيين على ما يبدو، حيث فرّ الأخير إلى بلاد المور بعد خسارته المعركة ( **Rollin,1850,484** ) غير أن ماسنيسا عبر بعد ذلك إلى اسبانيا لمساندة الجيوش القرطاجية هناك، مما أتاح لسيفاكس العودة إلى عاصمته سيقا وإعادة ترتيب صفوفه وسياساته، حيث اتصل بالرومان وحاول التحالف معهم في بادئ الأمر، ثم ما لبث أن تحالف مع القرطاجيين عندما أصبح غريمه ماسنيسا حليفاً للرومان (**سقوا 2018 517**).

مرت العلاقات النوميدية النوميدية بفترة هدوء قصيرة بعد وفاة الملك غايا وسيطرة لاكومازيس على مقاليد الحكم تحت وصاية (مازيتول)* على العرش، غير أن عودة ماسنيسا من إسبانيا أشعلت جذوة الصراع من جديد بين النوميديتين، فقد عبر إلى البر الأفريقي صحبة جنوده من النوميد الذين كان يقودهم ضد الرومان في إسبانيا، وحاول الاتصال ببعض النوميد القاطنين بالقرب من أعمدة هرقل، حيث تذكر بعض المصادر أن هناك قبيلة نوميدية تقطن في أقصى الغرب في المنطقة المقابلة لقاديس.(**Livius.XXIV,49**) وهناك اتصل بزعيم المور الذي زوده بقوة حماية أوصلته إلى بلاد الماسيل، وهناك حاول تكوين جيش من أنصار والده المعادين للانقلاب، حيث التحق به حوالي 500فارس بالإضافة إلى القوة التي كانت ترافقه.(**Livius.XXIV,30**) وهنا فاجأ مازيتول على حين غرة الذي كان في طريقه إلى الملك سيفاكس لتوحيد الجهود بينهما على ما يبدو، واستطاع الانتصار عليه في أول مواجهة له ضد أعدائه في الوطن الأم مما اكسبه مزيداً من الأنصار حيث التحق به كل من كان في ركب بيته المالك ويدعم شرعيته، وبذلك بدأ في استعادة العرش الذي سُلب منه..

على إثر هذه الهزيمة لجأ لاكومازيس وقائده مازيتول إلى سيفاكس في عاصمته سيقا الذي بدوره أمدهما بجيش قوامه 15 خمسة عشر ألفاً من المشاة وحوالي 10000 عشرة آلاف من الفرسان مضافا إليها القوات التي كانت تحت إمرة مازيتول (**فرحات 2007 65**) غير أن ماسنيسا استطاع الانتصار عليها مرة أخرى ، حيث فرّا (لاكومازيس ومازيتول) إلى داخل الأراضي القرطاجية طالبين حماية قرطاجة، ودخل ماسنيسا سيرتا عاصمة ملك والده، وبذلك استعاد حقه في العرش كما يدعي (**أكصيل 2007 173**).

بعد هذا الانتصار اتبع ماسنيسا سياسة حكيمة في تثبيت دعائم حكمه وكسب مزيا من الأنصار في مواجهة قرطاجة وسيفاكس فعمل على رأب الصدع داخل البيت الماسيلي، فأجرى صلحا مع ابن عمه لاكومازيس وكذلك أصدر عفواً على مازيتول مقابل إنهاء الحرب وتوحيد الصف، وبذ لك استطاع استعادة عرش أبيه، وبدأ يستعد للانتقام من أعداءه ( مضو 2007 207).

لم يُعر سيفاكس اهتماماً كبيراً لعودة ماسنيسا إلى أرض الوطن واستعادته لعرش والده، وتصفية خلافاته مع خصومه من البيت المالك في بادئ الأمر، إذ لم يكن سيفاكس يطمح في السيطرة على بلاد الماسيل على ما يبدو، فلا فرق لديه من تولى الحكم في الدولة الماسيلية أكان لاكومازيس أو ماسنيسا ( Livius,XXIX,31.) فمن يجلس في سيرتا هو حاكمها، غير أن قرطاجة كانت تدرك ما سيؤول إليه الأمر إذا ما آلت أمور الماسيل إلى ماسنيسا في ظل تحالفه مع الرومان، وأن ذلك سينعكس سلباً لا على قرطاجة فقط وإنما على سيفاكس نفسه، فأقنعته بالتدخل المباشر للقضاء على ماسنيسا، لضمان الجبهة الداخلية في مواجهة الغزو الروماني القادم (أكصيو 2007 174).

بدأ ماسنيسا يشن غارات متقطعة على الأراضي القرطاجية، ويغير على الحقول ويثير الرعايا القرطاجيين من النوميديين ضدها مما سبب لها إزعاجاً وعدم استقرار فأوعزت إلى سيفاكس بالقضاء عليه فجهز جيشاً قوياً، وأرسله بقيادة قائده بوكار، وكلفه بالعودة برأس ماسينيسا حياً أو ميتاً، وكان ذلك بـ 205ق.م، واستطاع ذلك القائد بالفعل محاصرة ماسينيسا الذي لجأ إلى بعض المرتفعات بعد هزيمته (فرحات 2007 67) غير أن بوكار ضيق عليه الخناق، مما أجبره على عبور أحد الأنهار الوعرة التي ظن أبوكار أنه غرق وانتهى أمره وعاد بالخبر إلى سيفاكس، غير أنه في واقع الأمر نجا بأعجوبة وظل متخفياً فترة الوقت ثم عاود عملياته بعد إن التف حوله عدد من الأنصار ( أكصيو 2007 175).

أخذ سيفاكس قراره بالقضاء النهائي على خطر ماسينيسا، فجهز جيشاً وقسّم قيادته بينه وبين ابنه فرمينا فكان هو على رأس القوة الرئيسة، بينما كلف ابنه بالالتفاف على قوات ماسنيسا حتى يقع بين فكّي الكماشة، وبالفعل تمت محاصرة ماسنيسا وهزيمته هزيمة نكراء، لكنه أفلت من المعركة مع عدد قليل من فرسانه ملتجئاً إلى بعض المرتفعات، وهنا تابع سيفاكس حملته واستولى على مدينة سيرتا عاصمة الماسيل وتمّ توحيد بلاد النوميد لأول مرة على يديه، أما ماسنيسا

فقد مني بهزيمة قاسية دفعته إلى الهروب جنوبا حيث استقر بمنطقة ساحل السرت الصغير يترقب وصول الأسطول الروماني إلى سواحل إفريقيا ( Livius,XXIX. 33.).

ما إن علم ماسنيسا بوصول طلائع الجيش الروماني إلى سواحل المغرب القديم حتى بادر بالاتصال بالقائد الروماني لايليوس فسارع للقائه وحثه على سرعة قدوم الجيش الروماني حيث كانت الظروف ملائمة لانشغال سيفاكس بقمع بعض القبائل التي ثارت ضده، وبالفعل نزل سكيبيو بالقرب من أوتيكا في منطقة على ما يبدو تدين بالولاء للقائد النوميدي ماسنيسا، ولم يجد مقاومة تُذكر في بادئ الأمر، وهنا التحق به ماسينيسا وأنصاره، وانضم سيفاكس إلى الجيش القرطاجي وبدأت المناوشات بين الطرفين، والتي توجت فيما يُعرف بمعركة السهول الكبرى، والتي هُزم فيها الجيش القرطاجي وحليفه سيفاكس (أكصيل 2007 198).

حاول سيفاكس أن يستجمع قواه بعد أن عاد إلى مدينة سيرتا، وجمع ما يمكن له جمعه من الجنود والسلاح وخرج لملاقاة كل من ماسنيسا ولايليوس الروماني اللذين كلفهما سكيبيو بمطاردة سيفاكس عقب المعركة، وحتى لا تقع مدينة سيرتا تحت الحصار، إلا أنه هُزم للمرة الثانية ووقع أسيراً هذه المرة في يد ماسنيسا كما تذكر المصادر التاريخية الذي سلمه بدوره للرومان ودخل سيرتا منتصراً وأصبح القائد النوميدي الوحيد في المنطقة ( غاذ 1998 81) وكان ذلك في عام 203ق.م، وبذلك يسدل الستار على الصراع النوميدي النوميدي لتصبح بلاد النوميد مملكة واحدة تحت سيطرة الملك ماسنيسا بعد عدة مراحل من الصراع بين الجارتين اتحدت فيه تحت إمرة سيفاكس في المرة الأولى 205- 203ق.م، وفي المرة الثانية تحت سيطرة ماسينيسا 203ق.م (البشير 2004 34).

من خلال ما تقدم نصل إلى نتيجة مفادها أن الصراع النوميدي النوميدي لعب دوراً مهما في نتائج أحداث الحرب البونية الثانية، وكان لصراع أبناء الوطن الواحد الأثر المباشر في دخول الرومان لمنطقة المغرب القديم وفرض سيطرتهم عليها والتي استمرت نتائجها حتى الفتح العربي الإسلامي، فقد أدى ذلك الصراع إلى تشتت الجهود وتفتيت الجبهة الداخلية، ومن ثم توفير الدعم اللوجستي والبشري لذلك المستعمر الذي بقى جاثماً على صدور أبنائه أكثر من ستة قرون متتالية.

**خاتمة**

ظهرت خلال القرن الثالث ق.م كيانات سياسية محلية في منطقة المغرب القديم، عُرفت بالممالك النوميدية( الماسيل والمازيسيل)، ساهمت بشكل فاعل في الأحداث التي عصفت بالمنطقة

خلال تلك الفترة، وكان أشهرها الحرب البونية الثانية التي دارت رحاها بين روما وقرطاجة، وقد حاول كل من طرفي الصراع أن يستغل تلك الكيانات لدعمه في صراعه ضد الطرف الآخر، وحيث أن هذه الكيانات تقع ضمن مناطق النفوذ القرطاجية، فقد حاولت قرطاجة احتواءها بطريقة أو بأخرى لضمان جبهتها الداخلية، غير أن الصراع بين النوميد أنفسهم خابت معه مساعي قرطاجة في توحيد جبهتها الداخلية وأعطى الفرصة للرومان في استغلال هذا الصراع، فوجدت لها موطئ قدم في منطقة المغرب من خلال تحالفاتها مع تلك القوى ، والتي كان للقائد النوميدي الشرقي ماسنيسا دوراً بارزاً في الحرب البونية الثانية، بعد أن زرعته روما كشوكة في خاصرة قرطاجة، واستطاع أن ينتصر على غريمه الملك سيفاكس زعيم النوميد الغربيين في معركة السهول الكبرى، وكان له الفضل في انتصار الرومان في معركة زاما الشهير 203ق.م، والتي يعتبره الكثير من المؤرخين بداية النهاية للإمبراطورية القرطاجية، والبداية الفعلية للسيطرة الرومانية على منطقة المغرب القديم التي دامت لعدة قرون، وربما إلى الفتح الإسلامي.

**المصادر**


- هيرودوت، الكتاب الرابع، ت: محمد المبروك الذويب، جامعة قاريونس 2002م.
- سالوست، حرب يوغرطة(صفحات من تاريخ شمال أفريقيا القديم)، ت: محمد التازي سعود، مطبعة محمد الخامس الجامعية والثقافية، فاس 1979م.
- الكتاب السابع عشر عن جغرافية سترابون(وصف ليبيا ومصر)، نقله عن الإغريقية: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي 2003م.

-DIODORUS,XIV-XX.

-JUSTIN,XVII- XVIII.

-LIVIUS,XXIV-XXV-XXVII- XXVIII-XXIX.

-PLINY,V.

- POLIBIUS,1- III-XVI-XXIV.

- STRABON,XVII.


**المراجع:**


- اصطفان أكصيل، تاريخ شمال افريقيا القديم، 2- 3- 4- 5- 6 ، الرباط 2007م.

الشاذلي أبورونية- محمد الطاهر، قرطاجة البونية(تاريخ حضارة)، مركز النشر الجامعي 1999م –

- غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر(ماسينيس) أو بدايات التاريخ، تعريب: العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر 2009م

- غابريال كامبس، البربر ذاكرة وهوية، ت: عبد الرحيم حزل، أفريقيا الشرق، المغرب، 2014م.

- فتحية فرحاتي، نوميديا( من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213- 46 ق.م)، منشورات ابيك، الجزائر 2007م.

- رشيد الناضوري، المغرب الكبير 1 العصور القديمة،دار النهضة العربية، بيروت 1981م.

كحيل البشير، قرطاجة والممالك النوميدية( دراسة في التأثير والتأثر 814- 146ق.م – –

- محمد البشير الشنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم( بحوث ودراسات)،دار الحكمة، الجزائر 2003م.

محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر، 1998م –

- محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم 3،دار الهدى- عين مليلة ، الجزائر 2011

- محمد الهادي حارش، مملكة نوميديا( دراسة حضارية) منذ أواخر القرن التاسع إلى منصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة، الجزائ 2006م.

- محمد فنطر، يوغرطة من ملوك شمال افريقيا وابطالها، الدار التونسية للنشر 1970م.

الأجنبية:

-Charles Rollin,The Ancient history of the Egyptian ,Carthaginians ,Assyrians ,Bablonians ,Meds and Persians,Macedonians and Grecians ,VOL.1.London,1850.

- Decret,F., Fantar,M., L'Afrique du nord dansw L'antiquite, Paris,1981.

- Dexter Hoyos, Trucdes war carthage's fight for Survival 241 to 237 B.C,Konin klijke,Brill, N.V, Leiden, The Netherland,2007.

- Klaus Zimmermann,( Roman strategy and Aims in the secand Punic war),Acomoanion to the Punic wars,Edition by Dexter Hoyes, Black well publishing.LTD,2011.

-Nathan Pilington, An Archaeological requirement ,for the degree of Doctor of philosophy in the Graduate school of arts and sciences, Columbia University,2013.- -- B.H. Warmington,Carthage,ed,penguin Books, London, 1960.

**الرسائل:**

- شعبان علي أحمد، السياسة الخارجية لمملكتي نوميديا وموريطانيا في عهد الممالك: من القرن الثالث إلى 40ق.م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2010/2009م.

- عبد الرحمن اليوبي، الحروب البونيقية، أسبابها، أطوارها ونتائجهام 264ق.م إلى 146ق.م، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ القديم، جامعة سيدي بن عبالله، فاس، 1990م

- مصطفى تويرت ، العلاقات النوميدية الرومانية بين السيادة والتبعية 203 ق.م- 46ق.م، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم، جامعة الجزائر - 2- السنة الجامعية 2013- 2014م.

- مفتاح محمد سعد البركي، التمازج الفينيقي اللوبي وأثره في الحضارة القرطاجية، أطروحة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة الاجازة الدقيقة في التاريخ القديم، غير منشورة ، جامعة طرابلس 2019م.

- مها عيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم(من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الاسلامي)، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراة العلوم في تاريخ المغرب القديم، جامعة منتوري، الجزائر 2009 2010م.

**الدوريات:**

- أبوبكر سرحان، الحروب البونية بين روما وقرطاجة 264- 146ق.م) أسبابها، أحداثها، نتائجها وموقف الممالك المغربية منها،مجلة الدراسات الافريقية ، مجلد 35،2013م

- خالدية مضوي، المسيرة الحضارية للملك صيفاقس 220ق.م- 202ق.م) حاكم مملكة الماسيسل، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد الأول / جانفي- ديسمبر 2007م.

- ذهيبة سي الهادي، جوانب من تاريخ الممالك الوطنية قبل الاحتلال الروماني(الجانب السياسي انموذجا)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخي، مجا 7، العد 1 2019م.

- نجلاء سقوان، الامتزاج الاجتماعي بين القرطاجيين والنوميديين من القرن الثالث إلى 146ق.م، مجلة الحقيقة، العد 43،2018.